
رقصة
الجسد
الأخيرة
د. مصطفى عمر الفاروق
قصص

رقصة الجسد الأخيرة

د/ مصطفى عمر الفاروق

الكتاب:
رقصة الجسد الأخيرة
التأليف:
د. مصطفى عمر الفاروق
رقم الإيداع:
2009/23261
* * *
التدقيق اللغوي:
عماد غزير
التنفيذ الفني:
حسام سليمان
* * *
الإشراف العام:
محمد سامي



دار ليلى

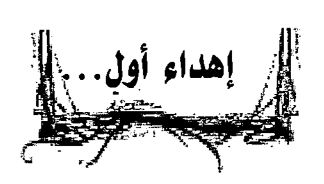
جمهورية مصر العربية
23 ش السودان- المهندسين
هاتف:
33370042
محمول:
0123885295
الموقع:
www.darlila.com
البريد الإلكتروني
mail@darlila.com

د. مصطفى عمر الفاروق

رقصة الجسد الأخيرة

قصص

دار ليلى للنشر والتوزيع



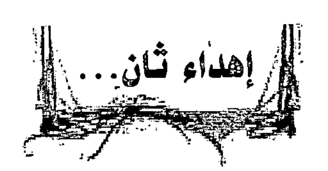
إهداء أول...

إلى صديقى وأخى الأكبر..

د/ هشام علي..

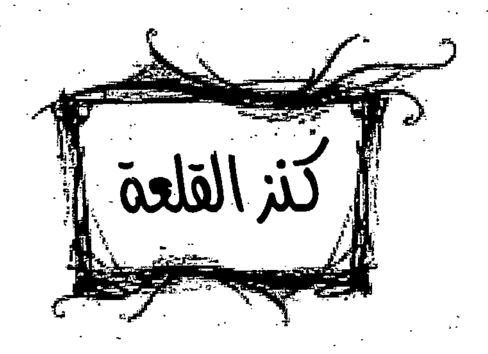
لا تكفى الكلمات لأعبر عن مدى امتنانى له..

واعتزازى بصداقته..



إلى "مايا"..

القصة الأولى



لاحت القلعة من بعيد.. قلعة صلاح الدين الأيوبي..

هتف في نفسه.. "أخيراً سأصل إلى الكنز"..

تذكر كيف وجد بالصدفة تلك الورقة البالية أثناء إحدى زياراته العديدة للقلعة.. كانت عليها نقوش غريبة.. استغرقت منه خمس عشرة سنة، وكل خبرته في فك طلاسم اللغات المختلفة، ليفك طلاسمها.. صدمته تلك العبارة التي جاءت في ذيل الورقة.. التي تشترط عثور شخص على الكنز قبل أن يحصل عليه من يعثر على تلك الورقة.. "لتحصل على الكنز ، لا بد أن يعثر عليه شخص آخر"..

تلك كانت العبارة.. ظلت تقلقه و تؤرقه..

كانت أصعب من الطلاسم التى نجح فى حلها، لقراءة الورقة نفسها.. حاول مرات ومرات أن يعيد ترتيب تلك العبارة، ولم يتوصل إلى شيء.. لكنه لم يقتنع فى نفس الوقت.. إذ كيف يعثر شخص على الكنز ولا يأخذه لنفسه؟.. كيف؟ كيف؟.. شيء بديهى أن من يعثر على الكنز يكون هو الذى يحصل عليه.. أما أن يكون عثور شخص آخر على الكنز شرطا لحصوله هو عليه، فهذا هو غير المعقول!!.. عاد يركز على الطريق، بعد أن كادت السيارة تنحرف به إلى هاوية.. لطالما قلب تلك الأفكار فى ذهنه.. سهر ساعات وساعات.. وقام.. وقعد.. والعبارة لا تبوح بسرها..

وصل أخيرا إلى القلعة..

غادر سيارته بسرعة.. دخل القلعة بعد أن قدم تذكرة الدخول إلى الحارس كما يفعل كل مرة.. كانت القلعة مختلفة فى نظره هذه المرة.. ففى المرات السابقة كان مجرد زائر للقلعة.. يأتى لمشاهدة ما تحويه من تحف فنية رائعة.. أما هذه المرة، فالأمر يختلف.. إنه يقترب من حل اللغز الذى طالما حيره.. والذى رغم ذلك ما زال طلسما بالنسبة له..

هو الآن يحفظ كل مخابئ وسراديب تلك القلعة التاريخية.. التى طالما شهدت أمجاد القادة والحكام.. انتصاراتهم ومؤامراتهم.. إضافاتهم وتعديلاتهم.. فى تلك السراديب والأبواب..

سار فى هدوء.. المكان مألوف لديه.. يكاد يعرفه كما يعرف أصابع يديه.. قادته قدماه إلى تلك الغرفة.. التى يدرك يقينا أنها هى الباب المؤدى إلى الكنز.. فطالما حام فى المكان عشرات المرات.. حتى انتهى به الأمر إلى تلك الغرفة.. دخلها ودفع الباب فى هدوء، فانغلق دون صوت.. اتجه إلى أحد الجدران.. تحسسه بيديه فى رهبة.. تركزت كل حواسه فى يديه.. لقد أصبح وجها لوجه مع قدره.. لامست يده حجرا تحرك تحتها.. تلفت حوله فى وجل.. بدأ جزء من الجدار يتحرك فجأة.. كاشفا عن فتحة صغيرة.. دلف إلى السرداب الذى امتد أمامه.. أخرج من جيبه الكشاف الصغير الذى يستخدمه فى مثل تلك المواقف.. راقب الباب الصغير وهو يغلق فى هدوء.. اطمأن إلى طريقة فتحه من الداخل..

انطلق فى السرداب.. انتهى به إلى غرفة حالكة الظلمة.. إلا من ضوء الكشاف الصغير.. تتبعت عيناه ضوء الكشاف وهو يجول

فى المكان.. لدهشته كان المكان خاليا ، إلا من صندوق صغير.. أهذا هو الكنز؟!.. جال بعينيه مرة ومرة.. ولم يكن هناك شيء سوى هذا الصندوق الصغير.. اتجه نحوه وهو يقول فى نفسه: " تراه مصباح علاء الدين؟.. أم خاتم سليمان؟! ".. ابتسم فى نفسه وهو يتخيل خادم المصباح محشورا فى هذا المكان الضيق!!..

امتدتْ يداهُ إلى الصندوق.. رفعه قبل أن يفتحه.. ربما ليخمن ما بداخله.. كان الصندوق خفيفا.. فتح الصندوق لتزداد دهشته.. كان الصندوق يحوى قنينة صغيرة أشبه بقنينة الدواء.. أخذ يقلب القنينة فى يديه.. كانت عليها عبارة تقول: " هذا الشراب مفتاح الكنز!! "..

هذا الشراب؟! هذا الشراب؟!..

رج القنينة.. بداخلها سائل.. إذن فليشربه ليحصل على الكنز.. ولكن كيف؟!.. جال بعينيه فى المكان.. ربما للمرة الأخيرة.. لا بد أن يشربه إذن.. ترى ما الذى سيحدث عندما يشربه؟.. هل سيفتح له باب الكنز حقا؟!.. لقد تحسس بيديه جدران الغرفة كلها عدة مرات، ولم يحدث شيء!!..

ربما كان السر فى الشراب.. هل سيظهر له الجنى كما فى الأفلام؟!..

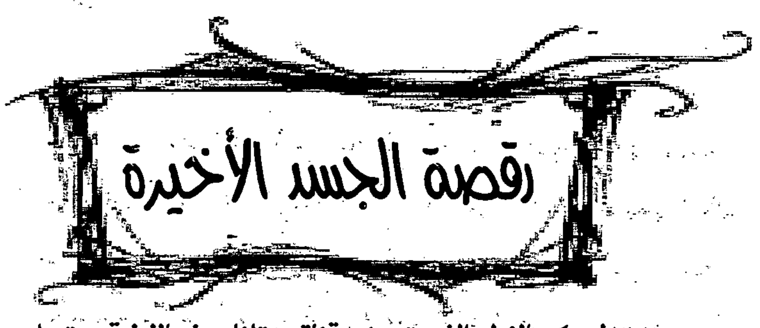
ليس أمامه سوى أن يشرب ليعرف..

سكب القنينة فى فمه دفعة واحدة.. كان مذاقها لاذعا.. لكن اضطرابه وخوفه وترقبه حجبتْ عنه إدراك المذاق الحقيقى لذلك الشراب.. وفجأة.. شعر بتحول هائل عنيف.... يسرى فى جسده.. اتسعت عيناه فى رعب.. وهو يرى يديه تتحول فى ضوء الكشاف إلى اللون الأخضر.. بدأ جسده يتصلب تدريجيا.. كأنه تمثال من الذهب.. هنا فقط تذكر تلك الكلمات.. " لتحصل على الكنز، لا بد وأن يعثر عليه شخص آخر ".. صدمه المعنى بقوة.. لكن بعد فوات الأوان.. وها هو يتحول إلى كنز، قد يعثر عليه أحد الأشخاص ذات يوم.. إذا ما ضغط بيده على ذلك الحجر الخفى فى الجدار بطريق الصدفة..

يا لسخرية القدر.. جاء ليحصل على الكنز ، فأصبح هو الكنز!!..

الكنز الذهبى..

القصة الثانية



لم يكن الفيلم الذى تعرضه قناة روتانا هذه الليلة ممتعا.. ضاعف هذا من شعوره بالملل.. لذلك فهو لن يعود إلى البيت.. فهو من الكائنات الوطواطية التى تنشط مساء.. أشار للنادل ليغير له حجر الشيشة الذى بدأت ناره تخبو.. فكر فى طريقة أخرى لاستكمال السهرة بدلا من مواصلة الجلوس فى المقهى، لكن عقله لم يسعفه بأى خيار أفضل.. وأحس أن الملل يخرج له لسانه متحديا فى تلك الليلة الحارة التى لا تبدو لها نهاية..

أحضر النادل حجرا آخر متوهجا.. وضعه بحرص فوق فوهة الشيشة..

سحب نفسا عميقا.. متلذذا بالنكهة العطرة للدخان.. وشردت عيناه فى الشرارات النارية المنبعثة من الحجر المتوهج..

سبع سنوات مرت منذ أن ترك قريتـه ليحـضر إلى (الغردقـة) مـدفوعا بـالأحلام الورديـة التـى لم تلبـث أن تحطمـت علـى أرض الواقـع .. لاحقته لعنة الفشل فى كل الأعمال التى التحق بها.. وكان الطـرد هـو مصيره المحتوم فى كل مرة..

حاول التغلب على المحنة باللجوء إلى الخمر.. أمضى ليلـة كاملة فـى شـرب أنـواع الـبيرة والنبيـذ والفودكـا.. حتـى غـاب عقلـه تماما.. وانتهت تلك الليلة بقتله سائحا أجنبيا سخر من منظـره! !.. لم يكن أمامه سوى الهـرب.. لكنـه لـن يعـود إلى قريتـه ليبتلـى أهلـه بعاره.. مفلساً وسكيراً وقاتلاً! !.. كما أنه لا يريد قضاء بقيـة حياتـه فى السجن.. استقر به الأمر فـى النهايـة فـى إحـدى القـرى الـصغيرة المتاخمـة لمدينـة (القُصير).. ليتعـرف إلى (حمـزاوي).. الـذى منحـه تأشيرة دخول إلى عالم اللصوص وقطاع الطرق..

وعاد إلى الغردقة بعد أن صـار شخـصا آخـر.. أطلـق العنـان لشاربه ولحيته.. ليخفى ملامحه.. واتخذ اسما حركيا هو.......

ـ الريس (بدران)؟

أخرجـه الـصوت مـن خـواطره.. نظـر إلى الـشاب الواقـف أمامه، وقد ارتسم التـوتر علـى ملامحـه.. أومـأ لـه برأسـه.. فجلـس

الشاب قائلا بصوت هامس:

ـ جئتك من طرف (حنفى الدرفيل)..

توقف عن سحب أنفاس الشيشة.. اقتحمت عيناه عينى الفتى الذى نطقت شفتاه كلمة السر.. (حنفى الدرفيل).. هذا يعنى أنه يستطيع أن يثق به.. لكن الحذر واجب.. انتقل إلى ركن متوار من المقهى مشيرا للفتى أن يتبعه.. ألقى نظرة سريعة ليطمئن إلى أن أحدا من رواد المقهى لا يتابعه.. قبل أن يقول للفتى بلهجة آمرة:

ـ اخلع ملابسك..

حاول الفتى الاعتراض.. لكنه لم يصمد أمام عينيه النافذتين.. فتش ملابسه قطعة قطعة بحثا عن جهاز تنصت.. لكن الفتى كان " نظيفا ".. ما أثار ريبته هو تلك الضمادات التى غطت صدر وبطن الفتى.. والتى تشربت اللون الأحمر فى منطقة الصدر..

ـ حادث سيارة..

قالها الفتى موضحا عندما قرأ الفضول فى عينيه.. أمره أن يرتدى ملابسه.. قبل أن يجلسا إلى طاولة فى ذلك الركن المتواري.. أخرج ورقة وقلما.. وخط عليها:

ـ لدواعى الأمن.. سنتحدث بالكتابة..

وضع الورقة والقلم أمام الفتى.. ليخط الفتى وثيقة الإعدام التالية..

الفريسة هذه المرة شاب فى الثلاثينيات من العمر.. يعمل محاسبا بأحد البنوك الأجنبية الكبيرة.. أقنع الفتى بالدخول إلى عالم البيزنيس والبورصة والتمويل العقاري.. ليخسر الفتى كل ثروته.. وهو الآن يسعى للانتقام..

ـ ومن الذى أرشدك إلى؟

ـ شاب تعرفت إليه فى أحد البارات.. وهو الذى أخبرنى أنك لا تعقد أى صفقات سرقة أو قتل إلا بعد أن تسمع كلمة السر.. (حنفى الدرفيل)..

ـ خمسة آلاف جنيه.. تدفع نصفها مقدما؟

ـ موافق.. لكن لى شرط..

رماه بنظرة نافذة بعد أن قرأ العبارة.. لم يمل عليه أحد زبائنه شروطا من قبل.. بل هو الذى اعتاد وضع الشروط.. واصل الفتى الكتابة بيد مرتجفة:

ـ أريد أن أشهد تلك اللحظة.. اللحظة التى تراق فيها دماؤه.. نظرة الهلع فى عينيه.. ارتجافة الموت التى تجعله يبدو مثل الذبيحة التى ترقص رقصتها الأخيرة.. أريد أن أستمتع بتلك اللحظة..

ارتسمت الدهشة على ملامحه.. لم يتخيل أن يصل المزاج الدموى بذلك الفتى إلى هذه الدرجة.. فى أحد المرات طلب منه أحد الزبائن أن يحضر له يد الضحية كدليل مادى على موتها.. لكنه اكتشف فيما بعد أن الهدف الحصول على الخاتم الألماس الذى يزين إصبع اليد البنصر!.. أما أن يطلب منه الزبون ــ خاصة ذلك الفتى المرتجف كالورقة ــ أن يرى ضحيته وهى غارقة فى دمائها.. فهذا أمر شديد الغرابة..

نظر فى عينى الفتى وقرأ فيهما تعطشه للدماء.. لا بد وأنه مريض نفسي.. " ومن منا ليس مريضا نفسيا؟ ".. قالها لنفسه مغلقا الباب أمام الأسئلة التى انهمرت على عقله..

شعر الفتى بتردده.. عاد للكتابة:

ـ سأزيد المبلغ ألفا.. شرط أن توافق..

اتفقا على موعد التنفيذ.. وأملى عليه بدران بعض

الاحتياطات اللازمة حتى لا ينكشف أمرهما.. قبل أن يناوله الفتى نصف المبلغ المتفق عليه.. ليختفى بعدها فى الظلام المحيط بالمقهى..

* * *

حضر بدران إلى مكان اللقاء قبل الموعد بنصف ساعة.. تجول فى المنطقة أكثر من مرة ليتأكد من خلوها مما يريب.. ختم جولته بالوقوف عند أول الشارع المفضى إلى البناية التى تقطنها الضحية.. شعر أن الشارع مألوف.. هناك مقهى على بعد خطوات من بداية الشارع.. ربما احتسى فيه الشاى ذات مرة.. فهو قد طاف على معظم مقاهى الغردقة..

ها هو الفتى قد حضر.. ليأمره بدران بصوت هامس:

ـ سأصعد أنا أولا لأتأكد من عدم وجود معوقات..

ـ لا تقلق.. البواب لا يظل ساهرا حتى هذا الوقت المتأخر..

ـ الاحتياط واجب..

تركه ليقطع الطريق فى خطوات سريعة.. دفع باب البناية ليحدث صريرا خافتا.. ظل ثابتا فى مكانه لحظات.. قبل أن يدلف إلى

مدخل العمارة المظلم.. صعد السلالم على أطراف قدميه.. وصل إلى الطابق المنشود.. انتظر بضع دقائق حتى لحق به الفتى الذى بدت ارتجافته بالرغم من الإضاءة الخافتة.. بدأ يعالج الباب بمهارة.. قبل أن يستسلم له القفل.. ليقتحم الشقة فى النهاية والفتى يتبعه..

أخرج ولاعة صينية الصنع ، تعطى ضوءا فسفوريا خافتا.. قلب عينيه فى المكان بحثا عن الرواق المفضى إلى غرفة النوم.. فلا يبدو أن الضحية من محبى السهر.. لكن ماذا لو كان خارج المنزل الآن؟.. لا بد وأن يتحرك بسرعـــــــ.....

ضربة عنيفة على الرأس قطعت تسلسل الأفكار فى ذهنه.. تهاوى على إثرها كالصخرة..

* * *

بدأت الرؤية تعود.. ضبابية فى البداية ثم اتضحت تدريجيا.. لم يستطع التركيز فى البداية.. لكنه أدرك الموقف بعد بضع دقائق.. إنه فى غرفة صغيرة خافتة الإضاءة.. مكبل اليدين والقدمين إلى كرسي.. حاول التملص لكن القيد كان منيعا..

هل هذا فخ؟

استبعد الفكرة ، فتلك ليست طريقة الشرطة فى القبض على اللصوص..

ـ لا تتعب نفسك فى التفكير..

التفت إلى مصدر الصوت.. كان الفتى واقفا فى فراغ الباب.. وكانت الإضاءة القادمة من خلفه أقوى من إضاءة الغرفة.. مما جعله يبدو كالظل.. غير واضح الملامح.. قطع الظل المسافة بينهما فى خطوات بطيئة واثقة.. كان ممسكا بعصا غليظة.. لوح بها أمام وجهه قائلا فى صوت واثق النبرات:

ـ فعّالة.. صح؟

دفع بالعصا نحو وجهه حتى كادت تخترق عينه.. وهو يقول:

ـ هل تدرى ما تلك البقعة الحمراء التى تغطى طرف العصى؟؟..

إضاءة الغرفة الخافتة لم تمكنه من تمييز تلك البقعة الحمراء..

ـ إنها دماؤك يا ريس بدران.. دماؤك التى تفجرت من

رأسك بسبب الضربة.. لكن يبدو أنك قوى كفاية لتظل حيا بعد ضربة بهذه القوة!!..

حرك يده بشكل تلقائى ليتحسس موضع الضربة من رأسه لكن القيود منعته..

واصل الظل:

ـ هل تذوقت دماء إحدى ضحاياك من قبل؟!..

قالها الظل وهو يلعق طرف العصا المغطى بالدماء فى تلذذ..

اقشعر جسد بدران.. وبدأ الخوف يلكزه فى قلبه.. على ماذا ينوى هذا المجنون دموى المزاج؟.. حاول مرة أخرى أن يتملص من قيوده ، دون جدوى..

ترك الظل العصا.. أخرج من جيبه مسمارين طويلين.. ثم بحركة خاطفة رشقهما فى فخذيه.. لتتفجر منهما الدماء.. وتنطلق من حنجرته صرخة مدوية اهتز لها جسده.. فى حين ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتى الظل:

ـ تماسك.. فما زالت اللعبة فى بدايتها..

اكتست ملامح بدران بالألم.. وتمنى لو كان ذلك الفخ من

تخطيط الشرطة.. فأساليبها أرحم بكثير..

ـ ماذا تريد مني؟

ـ أخيرا نطقت.. ظننت أن الضربة أفقدتك النطق..

أعقب عبارته بتوصيل طرفى المسمارين بسلكين من الأسلاك التى تستخدم لشحن بطارية السيارة.. ثم أوصل السلكين بالقابس..

ـ سنختبر الآن قدرتك على تحمل الكهرباء..

صرخ متوسلا.. ومن عينيه أطل الخوف والرعب والفزع.. لكن الظل ضغط زر القابس ليسرى التيار فى الجسد الذى راح ينتفض فى شدة كالذبيحة.. قبل أن يعاود الظل الضغط على الزر.. لتهمد حركة الجسد.. خرج السؤال من شفتى بدران واهنا :

ـ من أنت؟... وماذا تريد مني؟

اقترب الظل.. نزع القميص الذى يرتديه.. لتظهر من تحته الضمادات المخضبة بالدماء.. نزع الضمادات بحركة واحدة عنيفة لتظهر من تحتها عدة جروح نافذة فى منطقة الصدر.. وكانت تلك الجروح لا تزال تنزف!!

ـ سأذكرك بنفسي.. أنا (يوسف نبهان).. كنت أعمل

محاسبا بالمستشفى المصرى الألماني.. الذى يعتمد عمله على الأفواج السياحية التى تزور الغردقة.. اكتشفت تلاعب الأستاذ (فتحي) المدير المالي.. وهددته بالفضيحة إن لم يصلح ما أفسدته يداه.. فما كان منه إلا أن لجأ إلى الريس (بدران) العظيم.. لينقذه من براثن الفضيحة..

* * *

وكأنما عادت الذاكرة إليه فجأة.. لهذا بدا الشارع مألوفا له..

كانت ليلة باردة.. تسلل فيها إلى تلك الشقة.. ووصل بعد دقائق من البحث إلى غرفة النوم.. عدة طعنات فى صدر الضحية الغارق فى النوم.. لينتهى كل شيء..

وبعين الخيال يرى ضحيته يقاوم جيوش الموت التى تزحف على روحه.. يسعل دماً مرة أو مرتين.. قبل أن يلتقط المحمول ليطلب النجدة.. التى تصل فى الوقت المناسب.. لتنقذه فى اللحظة الأخيرة قبل أن يطويه الموت.. وها هى لحظة الحساب قد حانت..

واصل الظل:

ـ نقلتنى النجدة إلى مستشفى الغردقة العام.. بـذل الأطبـاء مجهودا خارقا.. ليستقر جسدى فى النهاية كالجثـة علـى أحـد أسـرة الرعاية المركزة.. كان عقلى فى غيبوبـة تامـة.. وظـل جـسدى متـشبثا بدفء الحياة أحد عشر شهرا.. لكـن بـرودة المـوت زحفـت عليـه فـى النهاية.. وها أنا قد عدت إليك من العالم الآخر.. لأنتقم..

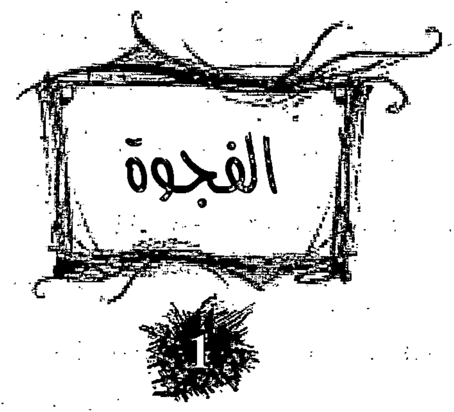
قالها وأطلق قهقهة هيستيرية طويلـة.. ثـم تحـرك ناحيـة القابس وهو يقول :

ــ لا تـنس أن تلقـى بالتحيـة علـى الأسـتاذ فتحـى عنـدما تقابله فى الجحيم!..

صرخ بدران مرة أخرى متوسلا والـدموع تـسيل مـن عينيـه الذابلتين.. لكن الظل ضغط زر القابس ليبدأ الجسد رقصته الأخيرة..

وكان آخر ما رآه بـدران قبـل أن تجـف الحيـاة مـن جـسده للأبد.. هو ذلك الظل وهو يغادر الغرفة مخترقا الحائط فى نعومة..

القصة الثالثة



لم يطلق عليه لقب " ملك السهر " من فراغ، فقد كان يومه الحقيقى يبدأ بعد الواحدة صباحا.. وكان من المستحيل أن تراه ضمن طاقم "الشيفت" النهارى بالمطعم.. حاول صاحب المطعم - وهو زوج أمه المتوفاة فى ذات الوقت - أن يوزع وردياته بين الصباح والمساء.. لكن النتيجة كانت كارثية.. فقد حضر إلى العمل بعينين محمرتين متورمتين ورائحة الخمر تفوح من فمه.. أوقفه بعدها زوج أمه عن العمل مدة يومين.. وهدده بالطرد أكثر من مرة إذا لم يغير أسلوب حياته المعوج.. لكنه يعرف جيدا أن زوج أمه لن يفعلها.. " لولا توصية المرحومة، لكنتُ....... " دائما ما كان يردد هذه العبارة، دون

أن يكملها.. دفعه الاستهتار ذات مرة ليسأل زوج أمه: " لكنتَ ماذا يا عمي؟ ".. لكن نظرة التهديد والوعيد فى عينى زوج أمه أخرسته..

مهنة النادل ليست شاقة.. والنجاح فيها لا يحتاج إلا إلى الإيمان بمبدأ "الزبون دايما على حق".. وقد سمح له زوج أمه - بعد إلحاح مستمر - بأن يحتفظ لنفسه بالبقشيش الذى يحصل عليه من الزبائن.. دون الدخول فى تقسيمة البقشيش اليومية.. وكان هذا يرضيه تماما ، بالرغم مما يثيره من حسد بعض زملائه الذين يقتسمون البقشيش فيما بينهم ، وهى قسمة غير عادلة من وجهة نظره..

اقترب الشيفت من نهايته وهو لم يضع بعد تصوره لسهرة الليلة.. "سوسن" ستبيت عند إحدى صديقاتها.. و "ندى" سافرت لقضاء إجازة الصيف مع أبيها الذى يعمل فى الخليج.. "عزت" كذلك اعتذر عن السهر.. فلم يبق أمامه سوى "حازم" الذى لا يجيد سوى الرقص على أغاني البوب.. وهو ليس فى مزاج يسمح له بالرقص الليلة.. إذن ستكون السهرة الليلة مع زجاجات البيرة العزيزة، والكثير من الفول السودانى والفزبستق والمقرمشات المالحة..

بعد الزجاجة الثالثة، ظهرت تلك الهالة..

هالة من الضوء الأزرق الباهت.. كأنما هى دائرة.. أو فجوة.. بدأت صغيرة ثم أخذت تتسع وتتسع حتى صارت فى صورة امرأة، أو هكذا خيل إليه!!

2

لا يذكر متى رأى تلك المرأة أول مرة.. تبدو فى أواخر الأربعينيات.. اختارت الجلوس إلى طاولة فى عمق المحل.. فى ركن خافت الإضاءة.. يفضلها العشاق والأحبة عادة لأنها تشعرهم بالخصوصية وتتيح لهم الفرصة للأحاديث الرومانسية.. دون تطفل من عيون رواد المطعم.. لذا فقد أطلق على هذا الركن: ركن العشاق..

الحزن يرسم خطوطه على وجهها الذى يبدو مألوفا له.. لكن الإضاءة الخافتة لم تساعده على تذكر ذلك الوجه.. انتظر عشر دقائق، كما هى العادة.. قبل أن يتوجه إليها ليسألها عما تريد.. لكنها، قبل أن تنقضى الدقائق العشر ، كانت قد اختفت.. تبخرت.. ظل واقفا أمام الطاولة يحدق فى الكراسى الشاغرة.. أغمض عينيه وفتحهما عدة مرات.. لكن لا أثر للمرأة.. فى النهاية، عزا ما رآه إلى إرهاق السهر..

لكن الأمر تكرر بعدها أكثر من مرة.. نفس المرأة ذات النظرة الكسيرة وتعبير الحزن المحفور على محياها.. وعند نفس الطاولة.. كأنما يشترط لظهورها خفوت الإضاءة.. وعندما سأل "صفوت" زميله في الشيفت المسائي عنها، أكد له أنه لم ير امرأة بهذه الأوصاف، بل وعلق ضاحكا: "توقف عن شرب منقوع البراطيش الذى يدمر خلايا مخك"، مشيرا إلى رداءة نوع الشراب الذى يحتسيه.. لم يفكر فى طلب العون من زوج أمه، حتى لا يصبح أضحوكة.. وهو الذى طالما اعتبره زملاؤه "الشاب الكوول"..

قرر بعدها أن يتجاهل ظهور تلك المرأة الشبح.. لم يفكر كثيرا فى مغزى ظهورها له هو بالذات.. ولا سبب اختيارها تلك الطاولة فى ركن العشاق.. ولا فى سر نظرة الحزن التى تطل من عينيها.. التجاهل التام - فى رأيه - هو الحل الأمثل لإبعاد ذلك الطيف أو ذلك الشبح.. أياً كان..

لكن يبدو أن التجاهل - على عكس ما توقع - دفع ذلك الطيف أو الشبح إلى الانتقال إلى مستوى أعلى من المشاغبات.. لم تعد الإضاءة تعمل فى الركن الهادىء.. ركن العشاق.. وعجز فنى الكهرباء عن معرفة السبب.. قال: إن "شيئا ما" لا يدرى ما هو بالضبط يؤدى

إلى حدوث " قفلة " كهربائية فى ذلك الجزء من المطعم.. وليت الأمر اقتصر على الكهرباء.. بل امتد إلى الزبائن الذين انقطع بعضهم عن المطعم مؤكدين أن هناك من كان يهمس فى آذانهم بلا انقطاع بكلمات غير مفهومة.. مما دفع زوج أمه إلى إصدار تعليماته بمنع جلوس أى زبون إلى تلك الطاولة..

3

ترك الزجاجة من يده، واقترب من تلك الفجوة، التى ازدادت أطرافها توهجا.. لا بد وأنه سيستيقظ ليجد نفسه مكوما على الأرض وحوله زجاجات البيرة الفارغة.. لكنه لا يذكر أنه رأى حلما بهذه الدرجة من الوضوح.. اقترب أكثر حتى عبر الفجوة.. لتصدمه مفاجأة كانت فى انتظاره..

إنه لا يزال فى المطعم ، لكن الديكورات مختلفة.. الإضاءة مختلفة.. لون الحوائط مختلف.. اصطدمت عيناه بالتقويم المعلق خلف الكاونتر الخاص بالكاشير.. لم يصدق عينيه.. التقويم يقول إن العام هو 1983.. أى إن الفجوة أعادت الزمن إلى الوراء 26 سنة.. قبل أن يولد هو بسنة تقريبا..

اقترب منه النادل فى هذه اللحظة يدعوه للجلوس إلى أحد الطاولات.. نظر إلى ركن العشاق وطلب الجلوس هناك.. اصطحبه النادل إلى حيث أراد.. الطاولة فى مكانها كما هى الآن.. لكن تلك الصورة الكبيرة المعلقة فوق الطاولة والتى تجمع بين أبيه وأمه..... ما الذى أتى بها إلى هذا المكان؟!!.. سأل النادل عنها فأجابه بابتسامة بأنها صورة صاحب المطعم وحرمه وهما فى شهر العسل!!

صفعته المفاجأة..

هذا المطعم إذن كان ملك أبيه.. فكيف أصبح ملكا لزوج أمه؟..

أخرجه النادل من خواطره ليسأله عما يريد أن يأكل، فطلب منه أن يمنحه بضع دقائق ليفكر..

لا بد وأنه يحلم.. وسوف يستيقظ من الحلم بين لحظة وأخرى.. جال بعينيه مرة أخرى فى المكان.. لتصطدم عينه بصورتين أخريين معلقتين فى أول "الطرقة" المؤدية إلى قاعة المدخنين.. اقترب منهما.. الصورة الأولى تجمع بين أمه وأبيه وزوج أمه وهم فى ريعان الشباب.. يبدو أنهم كانوا أصدقاء أيام الدراسة.. لماذا إذن يتجاهل

زوج أمه الحديث عن صديقه.. أيعقل أن يكون قد غدر بـه ليستولى على....... لا.. لا... غير معقول.. أما الصورة الثانية، فكانت تشبه شبح تلك المرأة الذى كثر ظهوره فى الآونة الأخيرة.. هذه إذاً أمه وهى فى أوائل الأربعينيات من عمرها.. التاريخ المكتوب على الصورة يؤكد هذا.. كان هو وقتها فى الثانية عشرة من عمره.. الصورة الوحيدة التى يملكها لأمه كانت وهى فى آخر سنوات دراستها الجامعية لذا لم يدرك أن ذلك الشبح الذى يزوره هو شبح أمه.. و..

وقبل أن يسترسل فى أفكاره، ظهرت تلك الفجوة المتوهجة مرة أخرى.. هل حان موعد العودة؟.. هو لم يحصل على كل ما يريد من معلومات بعد.. ماذا لو لم يعبر الفجوة؟.. هل سيظل حبيسا فى الزمن الماضى إلى الأبد.. حسم تردده.. و... وعبر الفجوة..

أدخل يده فى جيبه.. لتخرج ممسكة بـ " ملاحة "، مختلفة عن تلك الموجودة على طاولات المطعم.. كان قد دسها فى جيبه ربما ليتأكد أنه لا يحلم أو يهلوس.. وها هى ذي.. دليل ملموس غير قابل للتفنيد على أنه انتقل فعلا إلى الماضي.. لا يدرى كيف استوعب عقله هذه الحقيقة التى يكفى مجرد التفكير فيها لدفعه إلى الجنون..

نظر إلى ركن العشاق.. لماذا اختارت أمه ـ أو ربما شبحها ـ

هذه الطاولة بالذات.. وهل هى التى فتحت له تلك الفجوة إلى الماضي.. ليكتشف الحقيقة؟؟.. ولماذا لم تترك له الوقت الكافى ليعرف أكثر؟؟.. ولماذا الآن؟.. لماذا اختار شبحها زيارته فى هذه الفترة بالذات؟.. لا بد وأن للتوقيت معنى.. و................ و................ و........... أسئلة كثيرة ازدحمت فى عقله حتى شعر بصداع رهيب..

لا بد وأن ينال قسطا من النوم حتى يستطيع ترتيب ذهنه ووضع خطة لكشف الحقيقة.. لكن هل سيستطيع النوم؟!

4

لم يكن هو الذى حضر الشيفت المسائي.. انزوتْ طبيعته المرحة التلقائية المحبة للمزاح.. ليرتسم على وجهه تعبير بين الجدية والضيق.. وعلق صفوت على هذا مازحا.. لكنه لم يستوعب شيئا من مزاحه وطلب منه أن يتركه فى حاله.. ارتسمتْ الدهشة على وجه صفوت قبل أن يقول: " الأستاذ حامد قرر أن يغلق المطعم بضعة أيام لإجراء بعض التجديدات.. ابتداء من الأحد القادم ".. سأله باهتمام شديد عن طبيعة تلك التجديدات، فأجابه صفوت: " تجديدات فى كل شيء.. الإضاءة.. الألوان.. الأرضيات.. الأثاث.. كل

شيء سيتم تغييره، خاصة ذلك الركن الرومانسي.. لكن ما سبب اهتمامك بالأمر هكذا؟ "..

لم يجب على سؤاله.. غرق عقله في التفكير.. لماذا ظهر له شبح أمه في هذا التوقيت.. هل عرف شيئا عن مسألة التجديدات تلك.. وهل معنى هذا أن هناك ما تريده أن يكتشفه قبل بدء تلك التجديدات.. اعتصر عقله مفكرا ، قبل أن تقفز الإجابة إلى ذهنه.. الطاولة.. لا بد وأن السر في تلك الطاولة..

نزع المفرش المخملى من فوق الطاولة غير عابئ بالمزهرية الثمينة التي سقطت متهشمة فوق الأرض.. أمسك صفوت بذراعه صائحا: " ماذا تفعل أيها المجنون؟ ".. دفعه بقسوة في صدره ليسقطه أرضا.. قبل أن يمسك بالطاولة يتحسسها بيديه ويقلبها رأسا على عقب.. ما هذا التجويف؟.. تراه يحوى شيئا ما بداخله؟.. حاول تحريك طرفه الخارجي لكنه لم يستطع.. هرع إلى المطبخ وأحضر سكينا وسط حالة الترقب والقلق التي شملت بقية الزملاء، والفزع الذى سيطر على الزبائن.. بدأ يعالج التجويف حتى انفلتتْ قطعة خشبية لتظهر تحتها صورة فوتوغرافية ومظروف صغير.. أمسك بالصورة.. هي ذات الصورة التي رآها في الماضي والتي تجمع أمه وأباه

وزوج أمـه.. فـتح المظـروف فـى تـوتر.. هـا هـو علـى وشـك اكتـشاف الحقيقة.. جرتْ عينـاه علـى سـطور الرسـالة المكتوبـة بخـط أمـه.. لم يصدق.. قرأها مرة ومرة.. سقطتْ الرسالة من يده.. غادر المطعم وعقلـه مشلول من الصدمة..

أمه التـى لا يحـترم شيئا فـى حياتـه أكثـر مـن ذكراهـا.. خائنة!!!



مضتْ ساعات وهـو يجـوب الـشوارع كالتائـه.. والحقيقـة ـ التـى يـرفض تـصديقها ـ تتواثـب أمـام عينيـه.. كـان أبـوه وزوج أمـه أصدقاء.. لكن الشيطان لعب لعبته ووقعت أمه فى مستنقع الخيانة مع أعز أصدقاء زوجها.. وعندما اكتشف أبوه خيانة أقـرب اثـنين إليـه، قررا هما التخلص منه..

كانـتْ الخطـة محكمـة، تـصلح لعمـل فـيلم هوليـوودى محترم..

وقتها كان أبوه قد قرر تغيير خشب أرضية المطعم الذى بدأ يتآكل من الداخل.. مما سهل لهما فرصة إخفاء الجثـة، التـى تـوارتْ

للأبـد تحـت الـسيراميك الجديـد.. وقلـدتْ أمـه ـ التـى كانـت تجيـد محاكاة الخطوط ـ خط أبيه.. فكتبتْ رسالة موجهة منـه إليهـا.. بأنـه سيهاجر إلى الأبد بعد أن مل الحياة معها.. وبحث البوليس كثيرا عـن أى أثر له أو لجثته دون جدوى.. وأقفلتْ القضية فى النهاية..

واخفتْ أمه مسألة الحمل ـ بنـصيحة مـن خـائن الـصداقة ـ لتستأثر هى بالتركة.. ثم أقنعها بعد ذلك بأن توكل لـه التـصرف فـى أموالها.. وحدث ما هو متوقع.. استولى على المطعـم.. وماتـتْ هـى مـن الحسرة..

وها هو الآن يعمل نادلا فى مطعمه.. يا للمفارقة..

6

عاد للمطعم وروحه تغلى رغبة فى الانتقام.. قـرأ التعـاطف فى عيون زملائه.. لا بد وأنهم قرؤوا الرسالة وعرفوا حقيقية صـاحب المطعم.. الخائن..

لكن المسرحية لم تنته بعد..

ذهـب إلى المخـزن اللحـق بـالمطبخ.. ليأخـذ منـه مطرقـة ضخمة.. سيحطم أرضية المطعم ليكشف عن جثة أبيه المغـدور.. لينـال

المجرم عقابه الذى ظن أن السنين ستحول بينه وبين تطبيق العدالـة.. بعدها سيسدل ستار النهاية..

وقبل أن يبدأ فى مهمته.. شعر بإبرة تنغرز فى ذراعـه مـن الخلف.. التفت ليجد صفوت ممسكا بالمحقن وقد فـرغ مـن محتـواه.. حتى أنت يا صفوت!!.. شعر بعدها بدوار عنيف يلـف رأسـه.. قبـل أن يتهاوى جسده.. والتقتْ عيناه فى هذه اللحظـة بعينـى زوج أمـه.. الذى بدت على وجهه ابتسامة.. ابتسامة انتصار..

7

بدأ يستعيد وعيه فى بطء.. كان ممدا على الفـراش.. يـشعر بالوهن كل جسده.. حاول فتح عينيه لكن جفنيـه كانـا ثقـيلين.. كـان هناك صوت لم يميز صاحبه فى البدايـة.. بعـدها أدرك أن هـذا صـوت زوج أمه.. الذى يتحدث إلى شخص ما وقد بدا القلق فى نبراته:

-..... كنت أنا وأبوه شريكين فى هذا المطعم.. لكن أباه كان طموحا أكثر من اللازم.. فضارب بماله فـى البورصـة حتـى خـسر كـل شيء ، قبل أن يبيع لى نصيبه فى المطعم.. ليسدد ديونه.. ثم هاجمتـه أزمة قلبية عنيفة، لم ينج منها للأسف.. وتزوجـتُ أنـا أرملتـه التـى

كانت حاملا وقتها.. وعاملتُ الفتى الصغير كابني الذى لم أنجبه.. بل وكنت أضع نسبة شهرية من ربح المطعم في حساب بنكى باسمه.. ونشأ الفتى متعلقا بشدة بأمه التى لم تبخل عليه بحنانها.. ليصاب بعد وفاتها بحالة متقدمة من البارانويا.. المسكين لم يتحمل صدمة رحيل أمه.. فراح عقله يهيئ له أحداثا وهمية لا نهاية لها..

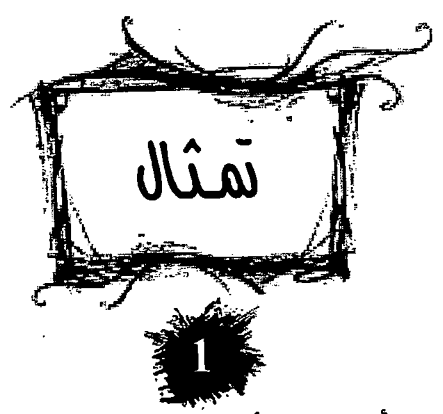
صمت الصوت قليلا قبل أن يواصل :

ـ كان الدواء الذى وصفه له الطبيب النفسى فعالا فى البداية.. ومرت فترة كبيرة دون مشاكل.. لكن التوهماتِ فاقت الحد هذه المرة.. فلقد كتب رسالة على لسان أمه رحمها الله يقول فيها إننى خنت أباه وقتلته... و.... و..... و......

وصمت الصوت مرة أخرى قبل أن يسأل:

ـ هل تظن أن حالته الآن تستدعى دخوله مصحة نفسية يا دكتور؟!

القصة الرابعة



لم يصدق أذنيه عندما أخبره السمسار بالسعر.. هذه الشقة " لُقطة ".. وفى أرقى منطقة بالمعادى.. ومن العجيب أنها لم تؤجر حتى الآن فى ظل أزمة السكن وارتفاع الأسعار.. دفع عربونا ليضمن بقاء الشقة للغد.. واتفق على موعد توقيع العقد.. ووعد السمسار بعمولة سخية..



كان يوما طويلا.. مرهقا.. انتهى فيه من فرش الشقة ونقل كل متاعه إليها.. وتسللت ابتسامة زهو إلى شفتيه.. فهذه خطوة

مهمة فى حياته.. " قفزة " كما يحب أن يسميها.. عشر سنوات من الاجتهاد فى العمل، توجت بهذه الشقة المتازة.. الخطوة التالية ستكون الارتباط بـ "داليا" زميلته فى العمل.. غمره شعور عارم بالنشوة وهو يتخيل نفسه يدخل عش الزوجية الهاديء بصحبة زوجة المستقبل..

مرت عيناه على مجموعة الكتب والأوراق والاسطوانات المكومة بجوار البوفيه القديم الذى يذكره بوالديه.. لا وقت لترتيبها الآن.. فالساعة جاوزت الواحدة صباحا.. وكل غظامه تئن من التعب.. اتجه نحو السرير.. وارتمى فوقه دون أن يغير ثيابه.. ليطويه سلطان النوم فى لحظات..



مرت أيام وهو لا يزال يجرى بعض التعديلات فى الشقة.. لا بد وأن تكون الشقة على "سنجة عشرة" عندما تزوره داليا وأهلها ليتفرجوا عليها.. لم تصدقه داليا عندما أخبرها أن الشقة مساحتها مائة وخمسون مترا.. واقتنعت أن الحظ قد فتح لهما ذراعيه أخيرا..

اشترى بعض التماثيل واللوحات المقلدة من أعمال عظماء الفنانين ليعلقها فى غرفة المعيشة وفى الصالون..

الشقة الآن جاهزة لاستقبال الضيوف الذين لا بد أن ينبهروا بذوقه الراقى فى الأثاث واللوحات والقطع الفنية.. غير أنه اتصل بـ داليا فى نفس اليوم الذى حدده لها للزيارة، ليؤجل الموعد!!.. ولم يذكر لها سببا محددا.. لم يكن صوته طبيعيا فى الهاتف.. ألحت عليه ليخبرها ماذا به؟.. لكنه أكد لها أنه بخير.. مجرد ظرف طارئ اضطره لتأجيل الموعد.. وسيحدد لها موعدا آخر قريبا جدا..

4

مسح صاحب الشقة الصالة بنظراته.. تعلقت عيناه بلوحة معلقة إلى أقل جدران الصالة إضاءة.. كانت اللوحة سريالية.. تمثل رجلا انسحقت أضلاعه وتداخلت فى بعضها.. بينما أطل الألم والذعر من عينيه اللتين خفت فيهما بريق الحياة.. وفى الجزء السفلى من اللوحة استقرت عينان كبيرتان تمتصان الدماء التى تتساقط من الرجل منسحق الأضلاع.. وخيل إليه أنهما تتوهجان!!.. ظل يتأمل هاتين العينين الحمراوين، قبل أن يقول وهو يشير للوحة :

- تقول إن هذه اللوحة لم تكن معلقة إلى ذلك الحائط؟!

أومأ برأسه :

- كنت قد علقت صورة لسلفادور دالى ، تمثل امرأة تتأمل البحر من شباك غرفتها.. فخطيبتى تحب تلك اللوحة.. ولكننى استيقظت اليوم لأجد أن تلك اللوحة الكابوسية قد احتلت مكان لوحتي..

سأله الرجل:

- هذه اللوحة فقط هي التى استبدلت؟

أومأ برأسه:

- وباقى اللوحات فى أماكنها..

أطل الشك من عينى الرجل.. مما دفعه ليقول فى انفعال:

- أنا لا أهذى ولا أحرك الأشياء وأنا نائم.. لو كنت تظن هذا!!

جاوبه الرجل بنفس الانفعال:

- وأنا لا أصدق حرفا مما تقول.. لوحة تختفي.. ولوحة أخرى تحتل نفس المكان!!

وتحرك ناحية الباب قائلا :

- اذا أردت فسخ العقد.. فلا مشكلة.. لكننى سأخصم

شهرا من قيمة التأمين الذى دفعته..

وصفق الباب خلفه.. ليسقط فى بحر أفكاره..

نظر إلى اللوحة.. هزته بشاعة الموت بهذه الطريقة الكابوسية.. الموت انسحاقا ! !.. أن تنضغط الضلوع حتى تتداخل محدثة طرقعة مرعبة.. مع ما يصاحب تلك الانضغاطة من تمزق الأحشاء الداخلية وتفجر الأوعية الدموية.. سرت قشعريرة فى عموده الفقري، وهو يتخيل نفسه مكان ذلك البائس فى الصورة.. قبل أن يحتل السؤال المحير ذهنه مرة أخرى : من الذى استبدل بلوحته تلك اللوحة الكابوسية؟..

هداه تفكيره إلى ترك اللوحة كما هى والخلود للنوم.. ربما يستيقظ ليجد الأمور قد عادت إلى ما كانت عليه!

لكنه قفز كالملسوع عندما فاجأه ذلك التمثال الضخم الموضوع على طاولة الصالون.. والذى يمثل شيطانا له رأسان.. فى كل رأس عينان.. بل هما نفس العينين الدمويتين المطلتين من تلك اللوحة.. والتى لا زالت تحتل الجدار! !.. كانت آثار النوم لا تزال تلف رأسه فلم ينتبه فى قفزته المفاجئة تلك للبوفيه الضخم.. فتعثر واصطدم به.. لتتفجر الدماء من جبهته وخده الأيمن..

أراح جسده على الكرسى القريب.. وهو يضغط بيده على مكان الجرح.. نظر إلى التمثال الشيطاني.. خيل إليه أن عيونه تتوهج.. بل تشتعل باللون الأحمر القاني..

هل هو يهذي.. هل اختلطت عليه الأمور فلم يعد يميز الخط الفاصل بين الحلم والواقع..

هذه هى البداية.. بداية الجنون.. الذى سيلقى به فى النهاية إلى............ هز رأسه بعنف ليبعد ذلك الخاطر المقبض عن رأسه.. لن تكون نهايته فى إحدى المصحات النفسية..

لكنه بالتأكيد لا يهذى.. فتلك الدماء التى أغرقت كفه وتساقطت على ملابسه دليل على أنه لا يهذى.. وهذا يعنى أنه يعيش أسوأ كوابيس الحياة الحقيقية !..

نهض من مقعده متحاشيا النظر إلى عيون التمثال..

كانت ساقاه ثقيلتين.. جرهما جرا حتى وصل إلى الحمام.. وانتابه شعور أن عيون التمثال كانت تتابعه حتى غاب فى الردهة المؤدية للحمام !

وقف أمام المرآة ليفاجأ أنه أمام حالة مشابهة لتلك التى فى

اللوحة.. عيناه نفس العينين الذابلتين التى تطل منهما نظرة الرعب والفزع والألم.. نفس الدماء التى كانت تلطخ الضحية البائسة.. لا ينقصه سوى العينان الدمويتان في الخلفية لتكتمل مفردات اللوحة!!

5

لم يكن أمامه سوى البحث عن أحد المتخصصين فى تلك الأمور الخارقة للطبيعة.. دله أحد زملائه على شخصية مرموقة فى عالم "الماورائيات".. وتحمل درجة الدكتوراه!..

لم يستطع الرجل الحضور قبل يومين لانشغاله بالكثير من الحالات المستعجلة!!

مسح الرجل الشقة بعينيه.. توقف عند تمثال الشيطان القابع فى منتصف الصالون.. وسأل السؤال المكرر :

- تقول إن هذا التمثال لم يكن موجودا هنا؟!

أومأ برأسه.. والرجل يحاول تحريك التمثال من مكانه..

- لا تحاول.. لقد حاولت تحريكه فلم يتزحزح ولو بضعة سنتيمترات.. هذا التمثال يحتاج إلى عشرة رجال أشداء لحمله..

عبثت أصابع الرجل فى لحيته الرمادية القصيرة.. قبل أن

يقول وهو يتأمل التمثال :

ـ هذا التمثال يبدو مألوفا.. أظن أننى رأيت صورة لـه فـى أحد الموسوعات القديمة..

واعتـصر ذهنـه محـاولا أن يتـذكر أيـن رأى صـورة ذلـك التمثـال.. لكـن الـذاكرة لم تـسعفه.. أخـرج عدسـة مقربـة مـن جيبـه ليتفحص بعض أجزاء التمثال.. بدا له أن هـذا التمثـال الأعجوبـة قـد يكون قطعة أصلية.. على عكس التماثيل الأخرى المتنـاثرة فـى أرجـاء البيت..

أخـرج مـن حقيبتـه جهـازا فـى حجـم الكـف.. ذا شاشـة صغيرة. ضغط زرا في جانبه لتضيء شاشته بلـون أخـضر باهـت. قـال موضحا :

ـ هذا الجهاز يكتشف موجات الطاقة ويحللـها.. فالأمـاكن التـى تقـع فيهـا أحـداث خارقـة عـادة مـا تكـون حقـلا لطاقـة كهرومغناطيسية أو نشاط ذرى زائد..

وبدأ يجـول فـى الـصالة ممـسكا بالجهـاز.. وفجـأة انطلـق صـفير حـاد مـن الجهـاز.. وقفـز المؤشـر إلى نهايـة المقيـاس.. قبـل أن يسكت الصوت.. ويتحول الجهاز إلى جثة!!



لم يعد يجلس فى صالة الشقة " الملعونة ".. يكتفى فقط بإلقاء نظرة خاطفة على محتوياتها وهو يغادر الشقة أو وهو عائد إليها.. فكر أن يمضى بضعة أيام عند أخيه فى المقطم.. لكنه خشى اللحظة التى يعود فيها ليفاجأ أن كل محتويات الشقة قد تغيرت.. عندها سيفقد ما تبقى له من عقل..

بدأت الكوابيس تلاحقه فى نومه.. كان يرى وحوشا ومخلوقات غريبة لكنها مرعبة.. وأصبح نومه مضطربا حتى مع المهدئ الذى وصفه له الطبيب..

كان الدكتور " زهدى " ــ عالم الماورائيات ـ قد وعده بالبحث عن حل لمشكلته.. وبزيارات متكررة لمتابعة التغيرات التى تطرأ على الشقة.. لكنه لم يقتنع بالتفسير المبدئى الذى وصل إليه الدكتور زهدى بعد أن تحول حساس الطاقة الذى استعمله إلى مجرد قطعة من المعدن.. قال الدكتور زهدى إن الشقة قد انفتحت بها فجوة زمنية.. هذه الفجوة تسمح بانتقال الأشياء.. بل وربما الأشخاص بين زمنين مختلفين.. وعملية الانتقال تلك تخلف طاقة كهرومغناطيسية هائلة، لم يتحملها جهازه.. وطلب منه أن يستعلم عن الأشخاص

الذين استأجروا هذه الشقة فى العشرين سنة السابقة.. ربما كان أحدهم جامعا للتحف والتماثيل.. وحدث اتصال زمنى انتقل عبره هذا التمثال المرعب.. و.....

أخرجه من خواطره رنين هاتفه المحمول.. نظر إلى شاشة الجهاز ليقرأ اسم خطيبته.. مرت ثلاثة أيام دون أن يذهب للعمل ودون أن يحدد لها ميعادا جديدا للزيارة المتفق عليها.. ضغط زر كتم الصوت.. وظل يحدق فى الشاشة دون أن يرد..



عاد إلى العمل بعد مرور ثلاثة أيام أخرى..

كانت جروح وجهه قد التأمت.. وبدأت نفسه تتأقلم مع المشكلة بعد أن مر اليومان الأخيران دون حدوث أى تغييرات.. لكن حالة غريبة من العطاس أصابته.. وحار الطبيب كثيرا فى تشخيص أسبابها.. وفى النهاية وصف له مهدئا للجهاز التنفسي.. على أن يعود لاستشارته بعد عشرة أيام..

اعتذر كثيرا لخطيبته التى كانت فى مزاج سيئ بعد أن أحرجها أمام أبويها.. وظل يطيب خاطرها حتى أشرق وجهها

بابتسامة.. لكن الغضب عكر وجهها مرة أخرى عندما أخبرها أنه لن يستطيع دعوتها إلى الشقة.. طلب ـ وألح فى الطلب ـ إليها أن تصبر وأن تتحمله كما تعودت أن تفعل.. وفى نفسه تمنى أن تطول حبال صبرها حتى تنتهى مشكلته..

انتهى من الأعمال المؤجلة والمهام المتراكمة عليه فى التاسعة مساء.. ليشعر أن فقرات ظهره قد اندمجت فى بعضها ولم تعد تتحرك.. مر فى طريق عودته إلى البيت على محل للكاميرات الرقمية.. وثبت فى ذهنه فكرة وهو يتأمل الكاميرات المتناثرة فى فاترينة العرض.. وفى الدقائق التى انتقلت فيها الفكرة من منطقة التفكير إلى الاقتناع ، كان قد اشترى الكاميرا.. وحرص أن تكون ذاكرتها ضخمة ليتمكن من تسجيل عدة ساعات..

أمضى الوقت فى فراشه يقرأ القصص المصورة ويشاهد التلفزيون، الذى نقله إلى حجرة النوم.. قبل أن يعد لنفسه عشاء خفيفا.. بعدها أحضر الكاميرا ووضعها على البوفيه بعد أن ضبط الكادر ليتسع لكل تفاصيل الصالة وأهمها ذلك التمثال الملعون.. ولم ينس أن يشغل خاصية التصوير الليلي.. ثم خفف الإضاءة.. واتجه إلى غرفته ليطويه سلطان النوم..



مرت أيام دون أن يكشف لـه التـصوير مـا يظـن أنـه يخفـى عليه..

شعور قوى فى أعماقه يدفعه للظـن بـأن هـذا التمثـال لـيس مجرد تمثال عادي.. لكـن الكـاميرا تثبـت لـه يومـا بعـد يـوم ـ كأنمـا تتحداه ـ أن التمثال وديع مسالم.. ولا يتحرك كما ذهبت به الظنـون.. لكنـه لم يتوقـف عـن التـصوير.. ظـل متـشبثا بفكـرة التمثـال الـذى يتحرك..

وفى اليوم السابع كانت الكاميرا تخبئ له مفاجأة..

لم يتحرك التمثال كمـا كـان يتوقـع.. لكـن طيفـا أرجـوانى اللون ظهر حول التمثال وظل يتوهج ويخفت.. وخيل إليه أن التمثـال اختفى لحظات ثم ظهر مرة أخرى.. لكـن الطيـف الأرجـوانى حجـب عنه وضوح الرؤية.. سرت قشعريرة فى عمـوده الفقـري.. كـان يتوقـع شيئا مما حدث.. لكن تحول أفكاره إلى حقيقة شيء مخيف..

هل هذا التمثال مصدر لعنة ما؟!.. وما هى تلك اللعنة؟!.. ولماذا اختارت الفجوة الزمنية شقته بالذات؟.. ظلـت الأسـئلة تتـزاحم فى رأسه حتى كاد ينفجر.. قبل أن ينتبـه إلى نقطـة مهمـة.. مـاذا لـو

استعان بعدد من العمال الأشداء لحمل التمثال إلى مكان آخر.. إلى الصحراء مثلا.. كيف لم يفكر فى هذا الحل من قبل؟..

ودون تأخير نقل فكرته إلى حيز التنفيذ.. أحضر له البواب سائقا يعمل على عربة نصف نقل.. وأربعة عمال، تبعث عضلاتهم المنتفخة الرهبة فى النفس..

طلب إليهم حمل التمثال وإلقاءه فى غياهب الصحراء.. التف الرجال الأربعة حول التمثال.. وما إن لمسته أيديهم حتى لسعتهم حرارة المعدن المرتفعة.. مما حال دون حمله.. وأقسم أحد العمال أنه رأى عيون التمثال الأربعة تتوهج.. وانصرف الرجال وظل التمثال مكانه..

ربما كانت الطاقة الكهرومغناطيسية هى السبب فى ارتفاع درجة حرارة التمثال.. إن ما يحدث الآن يفوق قدرته على التصور.. اتصل بالدكتور زهدى الذى لم ينفذ وعده بتكرار الزيارة.. وقص عليه ما كان من أمر التمثال الملعون.. ووعده الرجل بالحضور بعد أن ينتهى من بعض المهمات المسندة إليه..

9

لم يستطع النوم فى تلك الليلة..

ما سر ذلك الطيف الذى احتجب التمثال داخله.. وهل اختفى التمثال حقا.. وهل تلك الفجوة الزمنية التى يتحرك التمثال خلالها حقيقية.. لو لم يكن الدكتور زهدى قد رأى التمثال بنفسه.. لظن أن كل ما مر به حتى الآن مجرد هلاوس بصرية أوقعته فريسة لها..

أرخى جفنيه محاولا جذب أطراف النوم.. لكن النوم خاصمه.. قام إلى المطبخ ليطفئ ظمأه.. وخطر له أن يتحسس التمثال الذى لم يجرؤ على لمسه منذ أن التهبت أيدى العمال.. اقترب من التمثال فى حذر.. لكن يده توقفت قبل أن تلمس التمثال ، فقد شدت انتباهه قصاصة ورقية مكتوب عليها بخط اليد.. توحى كلماتها بأنها جزء من يوميات أو مذكرات شخص ما..

من أين أتت تلك القصاصة؟!.. هل أتت هى الأخرى من زمن آخر.. مرت عيناه على السطور.. لم يستطع فهم الحروف بسهولة نظرا لسوء الخط.. يبدو أن من كتبها اعتاد تدوين يومياته على عجل..

حملت له السطور مفاجأة.. فكاتب الورقة كان يبدى دهشته الشديدة لأن لوحة أصلية اشتراها بمبلغ باهظ اختفت فجأة

لتحل محلها لوحة أخرى مقلدة وسخيفة.. تمثل امرأة تطل على البحر من النافذة !!!.... ويضيف كاتب الورقة أنه يشك أن لعنة ما سكنت الشقة بعد حادثة القتل البشعة التى وقعت فى الشقة منذ سنين.. والتى دفعت عددا من سكان العمارة إلى الانتقال إلى سكن آخر..

لكن المفاجأة التى زلزلته بشدة ، كانت فى التاريخ الذى ذيلت به الورقة.. فالرجل كتب تلك الورقة بعد عشر سنوات من الآن.. فهل من الممكن أن يكون هو المقصـ........

أخرجه صوت الهاتف من خواطره.. رفع السماعة.. كان المتحدث هو الدكتور زهدى الذى بدا صوته مهتزا من الانفعال.. أمره أن يلملم حاجياته المهمة ويترك الشقة بسرعة.. فلما أبدى دهشته، أخبره الدكتور زهدى بما توصل إليه من قراءاته.. هذا التمثال محبوس بداخله روح شيطان اسمه ديفوس.. وهو شيطان ذو رأسين وزوجان أو أكثر من العيون.. ظهر هذا الشيطان فى زمن الفراعنة.. وعاش فى قرية صغيرة.. وكان عدوا لدودا لـ "رع" ملك التوحيد.. تقول الأسطورة الفرعونية إنه يعيش فى الأماكن المنعزلة والهادئة.. ويسمح لنفسه أن يكون ضيفا على الأشخاص الذين يعيشون وحدهم..

ويظهر الديفوس في الأحلام على هيئة وحش مفترس.. والإصابة بالسعال أو العطاس دليل على وجود الديفوس.. ولذلك للشيطان القدرة على عبور الفجوات الزمنية.. والوسيلة الوحيدة لاتقاء شره هي ضرب الهواء حول التمثال بسيف بتار بعد أن يغمر نصله حتى المقبض في دم فتاة عذراء.. وقد قام أهالى تلك القرية المصرية القديمة بمحاصرة ذلك الشيطان بالسيوف الملطخة بدماء العذراوات.. ليحبسوه في النهاية في ذلك التمثال.. لكن الأسطورة تقول إن روح التمثال ستتحرر مرة أخرى.. لتثير الذعر في الأرواح الآمنة وتسفك دماء الأبرياء.. وقد جسد عدد من الرسامين ذلك الشيطان في لوحاتهم.. ومنها تلك اللوحة الموجودة لديه..

وضع السماعة وهو يشعر برجفة تهز عموده الفقري..

كان ظهره في مواجهة التمثال.. التفت ببطء ليفاجأ بروح الشيطان قد تحررت أخيرا.. ساقاه أصبحتا كالحجر.. وزاغ بصره وهو يشعر بروح الشيطان تجثم عليه لتشل حركته..........

بعدها انطلقت صرخة رهيبة..

صرخة أكد كل من سمعها من سكان تلك العمارة بالمعادي، أنها صدرت من شخص ينسحق حتى الموت...

القصة الخامسة



ركبت سيارتى عائدا إلى القاهرة.. كانت الليلة مقمرة.. هواؤها بارد كالثلج، والسماء ملبدة بغيوم تنذر بالمطر. اخترق صوت الرعد المكان فى قسوة، وسطع البرق يكسو الأشياء بلون أبيض بارد.. جو لا يوحى بالاطمئنان أبدا. أقطع هذا الطريق يوميا بين عملى فى إحدى القرى البعيدة وبيتى فى القاهرة.

أفقت على صوت انفجار مكتوم.. مالت السيارة فى حدة إلى جانب الطريق. أوقفت السيارة بصعوبة. كان الإطار الأمامى قد انفجر. يا للحظ فى هذا الجو العاصف. ما العمل والإطار الاحتياطى ليس فى السيارة الآن؟!.. أيعقل أن أبقى فى مكان موحش كهذا.. سأكون قد

تجمدت قبل أن يطلع الصباح !

لم يكن أمامى سوى الوقوف على الطريق والتلويح لأى سيارة تمر، علّ سائقها يتوقف فى هذا الجو المكفهر. نظرت فى ساعتي.. كانت العاشرة.. فى مثل هذا الوقت أكون قد وصلت إلى بيتي.. شغلنى صوت عواء من بعيد عن التفكير في البيت.. تراه عواء ذئب؟.. شعيرات يدى تنتصب مع تواصل العواء. لا بد وأنه ذئب، وذئب جائع!.. وبدأت الأسئلة المحمومة تتدافع في رأسي.. هل هو بعيد، أم فى الجوار؟.. هل هو وحده.. أم.. ترددت أصداء العواء من جديد.. وهزت قشعريرة الخوف عمودى الفقري. قلبى يكاد يتوقف..

دقائق من الخوف والترقب والبرد مرت على كالدهر، حتى لاح الأمل فى صورة سيارة تبدو من بعيد. لم تكن أنوارها مضاءة، لكنها سيارة!.. بيدى ألوح بقوة حتى قبل أن تقترب السيارة.. بدأت ملامحها تظهر بوضوح.. سيارة نصف نقل.. وازدادت حركة يدى كأنى أصرخ فى السائق: أن توقف!.. هدأت السيارة من سرعتها.. إذاً فقد رآنى السائق.. حمدا لله.. بلهفة أفتح باب السيارة.. تداخلت الكلمات بعدها.. "سيارتى تعطلت.. من

فضلك.. وأنا فى طريق عودتى إلى القاهرة"..

قال السائق فى هدوء:

ـ تفضل.

يبدو أنه رجل لطيف.. بل شهم.. لولاه لكدت أتجمد من البرد والخوف.. ارتميت على المقعد بجواره.. رحت أفرك يدى بقوة.. أخيرا بدأت أشعر بالدفء.

سألنى :

ـ ما الذى جاء بك إلى ذلك المكان فى وقت متأخر كهذا؟

كأنه لم يسمع ما قلته.. أو ربما نسى ما قلته.. كررت ما قلت له عند صعودى السيارة ، وعيناى قد تركزت على تلك المجموعة الكبيرة من الكتب الموجودة فى درج السيارة.. قلت :

ـ لقد كنت عائدا من عملى فى إحدى القرى إلى بيتى فى القاهرة.

ـ وماذا حدث؟

ـ انفجر إطار السيارة.. والإطار الاحتياطى ليس معي.

أومأ برأسه متفهما.. سألته:

ـ هل تعمل دائما على هذا الخط؟

ـ أنقل البضائع بين القاهرة والقرى المجاورة.

أوشكت أن أسأله : "وهل تعمل فى هذا الوقت المتـأخر؟" ، لكننى آثرت الصمت.

مضت فترة قبل أن يسأل:

ـ تريد أن تعرف اسمي.. أليس كذلك؟!

قلت مجاملا:

ـ يسعدني..

أطلق ضحكة ساخرة، ثم قال:

ـ أنا الرجل الذئب!!

وعاود الضحك فى عنف وهو ينظر إلي!

اقشعر بدني.. ما هذا المزاح الثقيل؟!.. لا بد وأنـه يمـزح.. أم تراه يقول الحقيقة؟.. ران الصمت من جديـد بعـد أن تلاشـى صـوت

الضحك.. كانت هناك رائحة غريبة ، صدمتنى منذ دخلت السيارة.. سطع البرق فى هذه اللحظة لتعقبه قرقعة الرعد المثيرة للأعصاب.. على ضوئه لمحت بعض عناوين الكتب الموجودة فى درج السيارة.. "المذؤوب".. "أسطورة الرجل الذئب".. "لقاء مع المذؤوب".. يبدو أنه يعشق هذه النوعية من القصص المثيرة.

عاد الصمت يغلفنا عدا أصوات الهواء حول السيارة. قال بعد فترة:

ـ هل قرأت صحف اليوم؟

ـ كانت معى فى السيارة ، لكنى لم أقرأها.

أشار إلى المقعد الخلفى وقال:

ـ توجد إحداها بالخلف.. يمكنك تصفحها إذا رغبت.

مددت يدى وتناولت الصحيفة، لكن الظلام لم يسمح بالقراءة.. ضوء القمر كان خافتا رغم سطوعه.. عدلت من جلستى قليلا.. أملتُ الصحيفة ليسقط عليها أكبر قدر من الضوء. فى صعوبة بدأت أقرأ. شدنى خبر عن "نجيب محفوظ".. قرأته بصوت عال،

مشيرا إلى إعجابى بكتاباته:

- "نجيب محفوظ" يكتب قصة جديدة.

لزم السائق الصمت.. قلت له وأنا أشير إلى تابلوه السيارة:

- يبدو أنك تحب القراءة.

- نعم.. لكننى لا أفهم كتابات "نجيب محفوظ" المتفلسفة.. أنا أفضل تلك القصص..

وأشار بيده إلى تابلوه السيارة.. فى دهشة نظرت إليه.. كانت عيناه تبرقان بشكل غريب.

أضاف يقول:

- قراءة قصص الرعب شيء ممتع.. خاصة تلك القصص..

اقشعر بدني وأنا أسمع قوله هذا.. الرجل غير طبيعي.. صوته ونظرة عينيه ينمان عن مدى تلذذه بهذا الحديث!!.. قلت محاولا التماسك:

- أنا على عكسك تماما.. أكره قصص الرعب.. وأعتقد أن بعض أفكارها قد يصيب أبناءنا بالعقد النفسية.

لم يعلق.. عدت أقول:

ـ هل تصدق أن يتحول إنسان ما إلى ذئب مثلا.. يقتل البشر ويمتص دماءهم!!

جاء صوته كالفحيح:

ـ إذا عضه ذئب.. يتحول إلى مذؤوب.

ـ لا.. لا.. ـ قلت فى حدة ـ إنها خرافات لا أساس لها من الصحة.

لفنا الصمت.. يبدو أن كلامى لم يرق له. نظرت إليه.. كان يحملق في.. عيناه حمراوان والعرق يسيل كالماء على ذقنه وشفتيه.. لا أدرى لماذا تذكرت عواء الذئب الذى كان يعوى منذ قليل.. ترى لماذا احمرت عيناه.. أبسبب حديثى معه عن المذؤوبين؟!

عاد الرعد والبرق من جديد.. بدأت تمطر.. هذا ما ينقصنا.. برق ومطر ورجل غريب الملامح والطباع تجلس معه فى سيارة واحدة لا تستطيع أن تغادرها!

كاد قلبى يتوقف عندما قفزت تلك الفكرة إلى ذهني..

أيكون ذلك الرجل ذئبا؟!.. نظرت إليه مليا.. أيمكن أن يتحول في أي لحظة إلى مذؤوب وينقض على بأسنانه.. ليفصل رأسي عن جسدي.. وتصاعد صوت العواء.. لا... لا... لا أريد أن أموت بهذه الطريقة البشعة.. يا إلهي.. ألن ينتهي هذا الكابوس؟!..

وفجأة انحرف الرجل بالسيارة إلى طريق فرعي.. ما هذا.. ليس هذا هو الطريق الصحيح.. قلت في حدة:

- إلى أين تذهب.. لماذا خرجت عن الطريق؟!

- إنه طريق مختصر.

بالتأكيد هو يكذب.. يريد أن ينفرد بي لينقض علي.. يجب أن أفعل شيئا.. استجمعت شجاعتي وأمسكت يده اليمنى بكل قوة في محاولة لتغيير مسار السيارة أو إيقافها..

- ماذا تفعل أيها المجنون؟...، قالها في حدة.

- لن أتركك تفعل ما تريد..

دفعني عنه بقوة.. ارتطمت بباب السيارة.. ندت عنه ضحكة ساخرة جعلت قلبي يرتعد خوفا.. نظرت إلى وجهه.. ما هذا

الشعر الكثيف فى وجهه؟!.. لم ألمحه إلا الآن.. يجب أن أفعل شيئا.. هل أفتح الباب وأقفز من السيارة.. قد أموت.. وقد..... الأفضل أن أنتظر.. قد يكون هناك حل آخر.. بالتأكيد هناك حل.. تمثل فى ذلك الرجل الذى يقف على الطريق يلوح بيده من بعيد.. لا بد وأنه مثلى يحتاج إلى "توصيلة".. وستكون هذه فرصتى للنجاة.. لن يتمكن منى مع وجود هذا الرجل معنا.. لكن السائق زاد من سرعته عندما اقتربنا من الرجل.. الذى كان يلوح بكلتا يديه.. لقد فاتت الفرصة..

صحت فى جزع:

ـ ألن تتوقف؟

لم يرد..

هتفت فى نفسى : لا.. لن أموت على يديك أيها الوغد.

قفزت من باب السيارة.. تدحرجت على الأرض فى عنف.. الرجل الواقف على الطريق يسرع نحوى.. أشرت إلى السيارة التى بدأت تبتعد.. وقبل أن أقول : "ذلك السائق مذؤوب".. سطع البرق فى هذه اللحظة.. وبدت ملامح وجهه.. وماتت الكلمات فوق شفتيّ..

فقد كان ذلك الرجل... كان هو المذؤوب! !....

فهرس

إهداء أول..	5
إهداء ثان..	7
كنز القلعة	9
رقصة الجسد الأخيرة	14
الفجوة	26
تمثال	39
رحلة مع مذؤوب	55

قصص

رقصة الجسد الأخيرة

د. مصطفى عمر الفاروق



ترك الظل العصا.. أخرج من جيبه مسمارين طويلين. ثم - وبحركة خاطفة- رشقهما في فخذي ضحيته، لتتفجر منهما الدماء، وتنطلق من حنجرته صرخة مدوية، اهتز لها جسده.. في حين ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي الظل:

ـ " تماسك .. فما زالت اللعبة في بدايتها"..

أعقب عبارته بتوصيل طرفي المسمارين بسلكين من الأسلاك التي تستخدم لشحن بطارية السيارة. ثم أوصل السلكين بالقابس..

ـ " سنختبر الآن قدرتك على تحمل الكهرباء"..



دار ليلى